E-ISSN: 2789-3359 || P-ISSN: 2789-7834 || Arab Impact Factor 2021: 0.5

# دراسة منهجية لأصول التفسير عند أبي حيان الأندلسي من خلال تفسير البحر المحيط

# *A systematic study of the origins of interpretation according to Abu Hayyan al-Andalusi through interpretation of al-Bahr al-Muhit*

**محمد غزلاوي بن أحمد بن رحال الشريف المعمري**: أستاذ اللغة الفرنسية بأكاديمية وزارة التربية الوطنية، الدار البيضاء، المغرب، وطالب باحث في سلك الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية، المغرب.

**Mohammed Ghazlaoui**: Teacher of French language at the Academy of the Ministry of National Education, Casablanca, Morocco.

Email: Gh.simohammed@hotmail.fr

**الملخص**:

هدفت الدراسة لبيان عناية المسلمين بتفسير القرآن الكريم وفهم معانيه واستنباط أحكامه، وقد تنوعت طرائقهم في عرض علومه، واختلفت مشاربهم في إيضاح مكنوناته وجوهره ولآلئه. ولتحقيق أهداف الدراسة فقد استخدم الباحث المنهج الاستقرائي، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، من بينها أن المتأمل في التفاسير المنقولة عن التابعين يقف على مصادر متعددة لتفاسيرهم، بالإضافة إلى ما أخذوه من أهل الكتاب مما أدى إلى التفسير بالرأي علما أن الروايات المنقولة عنهم تخضع لمعايير القبول والرد. وأوصت الدراسة بمجموعة من التوصيات أهمها: التأكيد على أهمية فهم القرآن الكريم والتعامل معه من خلال الأصول التفسيرية السليمة، والمنهجية العلمية المنصفة التي تحترم الدليل الصحيح، مع إبراز خطأ من يحاول فهم القرآنِ الكريم في ضوء الأديان والمعتقدات والفلسفات المختلفة، دون إغفال أهمية تشجيع الدراسات الأصيلة الموثقة، المتصلة بتاريخ القرآن الكريم وعلومه ومعارفه.

**الكلمات المفتاحية**: القرآن الكريم، دلالات النص القرآني، أصول التفسير، فهم المعنى من الآيات، ضوابط الفهم الصحيحة، مناهج علماء التفسير.

**Abstract:**

The study aimed to demonstrate the Muslims' interest in interpreting the Holy Qur'an, understanding its meanings, and devising its rulings. To achieve the objectives of the study, the researcher used the inductive method, and the study reached a set of results, among which is that the contemplator on the interpretations transmitted from the followers stands on multiple sources for their interpretations, in addition to what they took from the People of the Book, which led to interpretation by opinion, knowing that the narrations transmitted from them are subject to criteria acceptance and response. The study recommended a set of recommendations, the most important of which are: Emphasizing the importance of understanding the Noble Qur'an and dealing with it through sound interpretative principles, and the equitable scientific methodology that respects the correct evidence, while

highlighting the error of those trying to understand the Noble Qur'an in the light of different religions, beliefs and philosophies, without neglecting the importance of encouraging authentic studies. Documented, related to the history, sciences and knowledge of the Noble Qur'an.

**Keywords**: Holy Quran, Qur'anic text, principles of interpretation, understanding the Qur'anic verses, controls for correct understanding, methods of interpretation scholars.

## الإطار المنهجي للدراسة:

### المقدمة:

لقد ظلّ القرآن الكريم على مرّ العصور والحقب التاريخية، موضع اهتمام المسلمين، فعُنُوا به عناية فائقة بتفسيره وبيانه ودراسته، للكشف عن دلالات النص القرآني واستدرار كنوزه، والنهل من معينه العذب النمير، تفهماً لمعانيه، واستنباطاً لأحكامه، واستخراجاً لعظاته وعبره. خاصة أنه معجز بلفظه ونزل بلغة يحتمل لفظها الواحد أكثر من معنى، وتميز باسلوب ارتفع به عن مستوى النثر والشعر، فلا هو نثر على ما تعارفت عليه أصول النثر، ولا هو شعر على ما تحتمه ضرورات الشعر. ولأجل انكبابهم على دراسته، تنوعت طرائقهم في عرض علومه، واختلفت مشاربهم في إيضاح مكنوناته وجوهره ولآلئه.

ويتعلق علم التفسير ببيان المراد من كلام الله تعالى، ويحتاج إلى أسس تساعد على فهمه والوقوف على الاختلاف الواقع فيه وكيفية التعامل مع هذا الاختلاف. وقد اصطلح على تسمية هذه الأسس بأصول التفسير، واختلفت مناهج العلماء وأساليبهم في التصنيف في هذا الباب. حيث يبحث علم التفسير في توضيح معاني القرآن الكريم، وبيان مقاصده؛ وجميع العلوم الشرعية تدور في هذا الفلك، ذلك أن علم الفقه وأصوله وسيلةٌ لبيان التشريعات والأحكام، أما علم البلاغة فهو وسيلةٌ للكشف عن بلاغة النصوص القرآنية، وعلم النحو والصرف وسيلةٌ لضبط ألفاظه وفهم معانيه، إلى غير ذلك من العلوم، التي هي في أساسها جاءت مسخَّرَةً لخدمة القرآن الكريم، وكشف ما أودعه الله سبحانه وتعالى فيه من دلائل على قدرته، وأسرار ملكوته.

وقد مر التفسير بمراحل بدءا بعصر النبوة حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُبيّن معاني كتاب الله تعالى، ومراده، ويُفهم معانيه جملة وتفصيلاً، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يفهمون معانيه على وجه الإجمال، مع تفاوتهم في فهمهم له بقدر علمهم ومعرفتهم باللغات التي نزل بها، وبدرجة صحبته للنبي صلى الله عليه وسلم، ومعرفة أسباب النزول، أما بالنسبة لمصادر التفسير في هذه المرحلة فهي؛ القرآن الكريم: فما جاء مُجملاً يأتي مفصلاً في موضعٍ آخر، وما جاء مُطلقاً في موضع يأتي مقيدًا في موضعٍ آخر. ويتميَّز التفسير في هذه المرحلة بقلة الاختلاف في فهم المعنى من الآيات، وكان شكل التفسير في هذه المرحلة يأخذ طابع الحديث من حيث الرواية. ومع توسُّع رقعة البلاد الإسلامية وكثرة الفتوحات للبلاد، تكونت العديد من المدارس في الفقه والحديث، والتفسير، وكان التلاميذ فيها هم التابعون، ومن مدارس التفسير: مدرسة التفسير في مكة، ومدرسة التفسير في المدينة المنورة، ومدرسة التفسير في العراق، ويتميز التفسير في هذه المرحلة بدخول الكثير من الإسرائيليات إلى كتب التفسير حينها، والنصرانيات، وكثرة الخلاف بين التابعين في التفسير مقارنةً مع عصر الصحابة، ومنه ظهرت نواة الخلاف المذهبي. وإذا كان المشرق الإسلامي عرَف نهضة اهتمت بتفسير القرآن الكريم، وبرز فيهم أعلام؛ أمثال الحسن البصري ت110هـ، وأبي عبيدة معمر بن المثنى 210هـ، الذي ألَّف مجاز القرآن، ومشكل القرآن لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قُتيبة 276هـ، وجامع البيان للطبري ت 310هـ، وغيرهم من المفسرين الكبار.

فإن المغاربة كذلك برزوا في علم التفسير، وألَّفوا فيه مصنفات جَمَّة، تزخَرُ بها المكتبة الإسلامية، ولهم في تفاسيرهم تلك اهتماماتٌ عدَّة، وقضايا جديدة، ومباحث مستقلة، لا تتجاوز تراث الأسلاف؛ وإنما تبني عليه بناءً راسخًا، ثم بعد ذلك تنطلق للإبداع والزيادة، وفتح آفاق اسشرافية لفهم القرآن الكريم على حسب الواقع والمكان. وبهذه المناسبة نقف على ضلوع ونبوغ المغاربة في الاعتناء بالتفسير، حيث أضحت كتبهم قبلة معتمدة لمن جاء بعدهم في الوقوف على معاني غوامض القرآن الكريم، والكشف عن دقائقه ومكنوناته ودرره وجواهره. واستفادة المفسرين المغاربة من المشارقة الأوائل لا تعني التقليد التام لهم، ولا النقل الحرفي عنهم، بل هي استئناف المسير، بإضافة الجديد فيما يتعلق بالمنهج لا فيما يتعلق بالمادة. وتبدى فيه تميزهم العلمي وتفوقهم المعرفي، حيث سطعت تآليفهم في الآفاق، وتطلعت إليها المهج وتشوقت إليها أنظار المهتمين بالتفسير، ومن أبرز المؤلفين في هذا الباب الذين خدموا كتاب الله تعالى الإمام أبو حيان الأندلسي، من خلال تفسيره "البحر المحيط"، هذا التفسير الذي اشتهر في الآفاق على أنه أساس في التفسير اللغوي، مع أنه ضم بحوثاً عديدة وتحقيقات سديدة في شتى العلوم؛ حيث تطرق مؤلفه إلى العقيدة وأسسها، والحديث

وعلومه، والفقه وأصوله، واللغة وفنونها، وقد جاءت هذا البحث بعنوان "أصول التفسير عند أبي حيان الأندلسي في من خلال تفسيره البحر المحيط".

**مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:**

أدى اختلاف البيئات والثقافات إلى بروز العديد من التفسيرات والتأويلات للنص القرآني، ومع هذه الوفرة ظهرت إشكالية تأويل النص وفهمه ومدى انفتاح أفقه ومدى التزام ذلك كله بضوابط الفهم الصحيحة، وهنا برز تساؤل رئيسي: هل لهذا التفسير من ضابط يحمل المفسِّر أو المؤوِّل على التمسك به، أو إنه تأويل من غير ضوابط؟ تلك هي الإشكالية التي برزت نواتها في الفكر الإسلامي مع ظهور المذاهب بمختلف توجهاتها وثقافاتها وخصوصا التي مجّدت العقل وقدّمته على النقل. وهل من مسلك آمن يعصم المفسر من الوقوع في الانحرافات التفسيرية والعقدية؟ وبالتالي عدم الانصياع لتطويع النص إلى هوى المفسر في فهمه المحدود؟

**منهجية الدراسة:**

استخدمت في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي، وذلك باستقراء بعض أصول التفسير التي أوردها أبو حيان في تفسيره، وعرضها بإيراد أمثلة موضحة لكيفية توظيفها في تفسيره.

**أهداف الدراسة:**

- الإسهام بهذه الورقة العلمية في خدمة كتاب الله تعالى.
- التعرف على أصول التفسير عند أبي حيان والصيغ التي استخدمها في تفسيره البحر المحيط.
- ضبط التفسير السليم لفهم ما أشكل من آي القرآن الكريم.

**حدود الدراسة:**

حدود هذه الدراسة هي أصول التفسير التي استثمرت في تفسير أبي حيان الأندلسي، وتشمل تفسير القرآن بالقرآن والسنة النبوي وقول الصحاب والتابعي واللغة العربية وما يتعلق بها، وقد جاء هذا البحث في مقدمة ومطلبين ونتائج وخاتمة، مع الإشارة إلى أهمية موضوع أصول التفسير أنه يعين على فهم القرآن، واستنباط الأحكام والآداب، وَيُعَرِّف الدَّارِس له بتاريخ القرآن الكريم، من حيث مبدأ نزوله، ومدة هذا النزول، وطريقه هذا النزول، وأماكن النزول، وأوقات النزول، والأحداث التي نزل فيها القرآن، والناسخ والمنسوخ، والقراءات، وما إلى ذلك من العلوم التي يُحتاج إليها، كالعام

والخاص، والمطلق والمقيد، وغير ذلك، وَيُسَلِّح المهتم به بأدوات تؤهله أن يجلي كثيرًا من الإشكالات والشبهات التي يطرحها قوم من المستشرقين، وغيرهم من المنحرفين المتقدمين والمتأخرين.

**الدراسات السابقة:**

- أصول التفسير وقواعده في البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (745هـ) ـ تفسير سورة إبراهيم أنموذجا، رسالة جامعية لنيل الماستر، شوقي محسن، 21 ربيع الأول 1440هـ/ الموافق لـ 29 تشرين الثاني/ نوفمبر 2018م، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، بالرباط.

- أبو حيان الأندلسي ومنهجه في تفسيره البحر المحيط وفي إيراده القراءات فيه، للدكتور أحمد خالد شكري، وهي جزء من رسالته للماجستير في الجامعة الإسلامية في كلية القرآن الكريم، وقد طبعت في دار عمار بالأردن عام 2007 م.

- أبو حيان الأندلسي ومنهجه في تفسير القرآن، لعلي الشباح، تونس: الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين، 1981م، رسالة دكتوراه. (رسالة القرآن العدد الثامن/195).

- أبو حيان المفسر ومنهجه وآراءه في التفسير، لمحمد عبد المنعم محمد الشافعي، رسالة دكتوراه بمكتبة أصول الدين بجامعة الأزهر تحت رقم 453، عام 1392هـ/1972م

## المطلب الأول: أصول تفسير القرآن الكريم.

يرمي علم أصول التفسير إلى بيان الطرق السليمة والشروط المحكمة لتفسير القرآن والكشف عن المراد من كلام الله عز وجل، وفق قواعد منضبطة وصحيحة، ومنهج علمي قويم وسليم. وبهذا اعْتُبِر علم أصول التفسير أحد المباحث المهمة ضمن علوم القرآن قاطبة، وأهميته تجلت في كونه من العلوم الخادمة للقرآن الكريم في فهمه وتدبره واستنباط ما جاء فيه من الأحكام المتعلقة بالعقيدة والعبادات والمعاملات؛ واستنطاق الآيات القرآنية واستخراج ما بها من درر وأسرار. مع التمكن من رد محاولات المنحرفين لتفسير نصوص الكتاب والسنة وفق الأهواء والتصدي لها.

### 1. تفسير القرآن بالقرآن

لقد اهتم أبو حيان في تفسيره البحر المحيط بتفسير القرآن بالقرآن باعتباره أفضل الطرق في التفسير وأبلغها، " فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر، و ما اختصر في مكان فقد بسط

في موضع آخر"[1]. وقد سلك أبو حيان هذا المسلك في تفسيره، فتكلم عن كثير من الآيات ونظيراتها من الآيات الأخرى. ويعتبر القرآن الكريم أصلا من الأصول التي اعتمدها صاحب البحر المحيط في التفسير، قال تعالى: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ}[النحل: 89]، وقال أيضا: {هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ}[آل عمران: 138]. وقد أدرك أبو حيان أهمية القرآن الكريم كأصل من أصول التفسير، ونص عليه في مقدمة تفسيره، وهو يعدد الوجوه التي يحتاج إليها أثناء التفسير، إذ قال في الوجه الرابع: "تعيين مبهم، وتبيين مجمل، وسبب نزول، ونسخ"[2]. وأكد على هذا بقوله كذلك: "والقرآن يفسر بعضه بعضا"[3].

ومن أمثلة تفسيره القرآن بالقرآن: قوله تعالى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى}[طه: 124]، "...وكأنه قيل{وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي} تكن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ومثله{مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ}[الأعراف: 186]، في قراءة من سكَّن (وَيَذَرْهُمْ). وقرأت فرقة (وَيَحْشُرُه) بالياء... والظاهر أن قوله أعمى المراد به عمى البصر كما قال: {وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا}[الإسراء: 97]"[4].

ويقول في تفسيره لقوله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}[الإسراء: 85]، " أجمع علماء الإسلام على أن الروح مخلوقة، وذهب كفرة الفلاسفة وكثير ممن ينتمي إلى الإسلام إلى أنها قديمة واختلاف الناس في الروح بلغ إلى سبعين قولا، وكذلك اختلفوا هل الروح النفس أم شيء غيرها، ومعنى (مِنْ أَمْرِ رَبِّي) أي فعل ربي كونها بأمره، وفي ذلك دلالة على حدوثها والأمر بمعنى الفعل وارد قال تعالى: {وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ}[هود: 97]، أي فعله، ويحتمل أن يكون أمرا واحدا الأمور وهو اسم جنس لها أي من جملة أمور الله التي استأثر بعلمها"[5].

(1) أحمد بن عبد الحليم المعروف بابن تيمية، 1971م، مقدمة في أصول التفسير، تحقيق: عدنان زرزور، ص93، بيروت، مطابع دار القلم.

(2) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، الطبعة: 1420 هـ، تحقيق: صدقي محمد جميل، ج:1، ص15، بيروت، لبنان، دار الفكر.

(3) المصدر السابق، ج:6، ص212.

(4) البحر المحيط، ج:7، ص394-395.

(5) المصدر السابق، ج:7، ص106-107.

## 2. تفسير القرآن الكريم بالسنة النبوية الشريفة:

هذا هو الأصل الثاني من الأصول النقلية، فإن السنة شارحة للقرآن و موضحة له، قال الله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ}[النحل، من الآية 44]، وقال تعالى: {وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}[النحل: 64]، وقال الشاطبي: "السنة بمنزلة التفسير والشرح لمعاني أحكام الكتاب، ودل على ذلك قوله: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ}[النحل: 44]"[1]. وقال أيضا: "السنة راجعة في معناها إلى الكتاب فهي تفصيل مجمله وبيان مشكله وبسط مختصره، وذلك لأنها بيان له وهو الذي دل عليه قوله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ}[النحل، من الآية 44]، فلا تجد في السنة أمراً إلا والقرآن قد دل على معناه دلالة إجمالية أو تفصيلية"[2]. وهذا الأصل قد نص عليه الإمام أبو حيان في مقدمة تفسيره، مبينا ذلك بقوله: "تعيين مبهم، وتبيين مجمل، وسبب نزول ونسخ: ويؤخذ ذلك من النقل الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك من علم الحديث. وقد تضمنت الكتب والأمهات التي سمعناها ورويناها ذلك، كالصحيحين، والجامع للترمذي، وسنن أبي داود، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجه، وسنن الشافعي، ومسند الدارمي، ومسند الطيالسي، ومسند الشافعي، وسنن الدارقطني، ومعجم الطبراني الكبير، والمعجم الصغير له، ومستخرج أبي نعيم على مسلم، وغير ذلك"[3]. ومن أمثلة استثماره للحديث النبوي الشريف في تفسيره، حيث فسر قوله تعالى: {حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ (64) لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ}[المؤمنون: 64 – 65] بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا: "والعذاب القحط سبع سنين والجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف»[4]، فابتلاهم الله بالقحط حتى أكلوا الجيف والكلاب والعظام المحترقة والقد والأولاد"[5].

وفي تفسيره لقوله تعالى: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ}[النساء: 23].

---

(1) إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشاطبي، 1417هـ/ 1997م، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ، ج:4، ص9، الطبعة الأولى، الرياض، دار ابن عفان.

(2) الموافقات للشاطبي، ج:4، ص212.

(3) مقدمة البحر المحيط، ج: 1، ص15.

(4) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب: يهوي بالتكبير حين يسجد، الرقم: 804.

(5) البحر المحيط، ج: 7، ص571-572.

يقول رحمه الله: "ولما سمى المرضعة أما والمرضعة مع الراضع أختا، نبه بذلك على إجراء الرضاع مجرى النسب. وذلك لأنه حرم بسبب النسب سبع: اثنتان هما المنتسبتان بطريق الولادة وهما: الأم والبنت. وخمس بطريق الأخوة وهن: الأخت، والعمة، والخالة، وبنت الأخ، وبنت الأخت. ولما ذكر الرضاع ذكر من كل قسم من هذين القسمين صورة تنبيها على الباقي، فذكر من قسم قرابة الأولاد الأمهات، ومن قسم قرابة الإخوة والأخوات، ونبه بهذين المثالين على أن الحال في باب الرضاع كالحال في باب النسب. ثم أنه ق أكد هذا بصريح قوله: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»"[1][2].

وهكذا يعتمد أبو حيان الأندلسي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسير قوله تعالى: (وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ)، فيقول:" فصار صريح الحديث مطابقا لما أشارت إليه الآية. فزوج المرضعة أبوه، وأبواه جداه، وأخته عمته. وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم إخوته وأخواته لأبيه، وأم المرضعة جدته، وأختها خالته. وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم إخوته وأخواته لأبيه وأمه. وأما ولدها من غيره فهم إخوته وأخواته لأمه"[3].

ويقول في تفسير قوله تعالى: {وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ}[النساء: 23]: "( وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ) ظاهره أنه يشترط في تحريمها أن تكون في حجره... حرم الله الربيبة بشرطين: أحدهما: أن تكون في حجر الزوج. الثاني: الدخول بالأم. فإذا فقد أحد الشرطين لم يوجد التحريم.

واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم: «لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي إنها ابنة أخي من الرضاعة»"[4][5].

### 3. تفسير القرآن بأقوال الصحابة رضوان الله عليهم:

اعتمد أبو حيان الاندلسي على نقل أقوال السلف والخلف في تفسيره، وقد أكثر من ذكر أقوال الصحابة في تفسير الآيات القرآنية معتبراً أقوالهم باعتبارهم أدرى باللغة العربية وبما شاهدوه من الأسباب والقرائن ومعاصرة التنزيل والظروف التي عاشوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(1) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب الشهادة على الأنساب، والرضاع المستفيض، والموت القديم، الرقم: 2645.

(2) البحر المحيط، ج: 3، ص579.

(3) البحر المحيط، ج: 3، ص579.

(4) صحيح البخاري، كتاب النفقات، باب المراضع من المواليات وغيرهن، الرقم: 5372.

(5) البحر المحيط، ج: 3، ص580.

وبرز منهم عدد من المفسرين ذكرهم السيوطي بقوله: "اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم، أما الخلفاء فأكثر من روي عنه منهم علي بن أبي طالب، والرواية عن الثلاثة نزرة جداً، وكأن السبب في ذلك تقدم وفاتهم"[1].

ويعتبر تفسير الصحابي أصلا من الأصول النقلية المعتمدة في تفسير كتاب الله عز و جل، يقول الذهبي: "ولو أننا رجعنا إلى عهد الصحابة لوجدنا أنهم لم يكونوا في درجة واحدة بالنسبة لفهم معاني القرآن، بل تفاوتت مراتبهم، وأشكل على بعضهم ما ظهر لبعض آخر منهم، وهذا يرجع إلى تفاوتهم في القوة العقلية، وتفاوتهم في معرفة ما أحاط بالقرآن من ظروف وملابسات، وأكثر من هذا، أنهم كانوا لا يتساوون في معرفة المعاني التي وُضِعَتْ لها المفردات."[2]

إن تفسير الصحابة رضي الله عنهم يعدّ أحد مصادر التفسير بعد الكتاب والسنة، وفي هذا يقول ابن كثير: "إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السُّنَّة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك، لِمَا شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختُصوا بها، ولِمَا لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح ولاسيما علماؤهم وكبراؤهم، كالأئمة الأربعة، والخلفاء الراشدين، والأئمة المهتدين المهديين، وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم"[3].

ويقول ابن تيمية رحمه الله(ت728هـ): "إذا لم نجد التفسير في القرآن و لا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك، لما شاهدوه من القرآن، والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين؛ مثل عبد الله بن مسعود"[4]، ثم قال: "وإذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة، ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين"[5]، فهم الجيل الذي ورث علم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(1) جلال الدين السيوطي، 1416هـ/1996م، الإتقان في علوم القرآن، ، تحقيق: سعيد المندوب، ج: 2، ص493. بيروت، لبنان، دار الفكر.

(2) محمد حسين الذهبي، 2000م، التفسير والمفسرون، ج:1، ص29، القاهرة: مكتبة وهبة.

(3)أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، 1419ه، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ج:1، ص16، بيروت، دار الكتب العلمية.

(4) مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، ص40.

(5) المرجع السابق، ص44.

ويقول أيضا: "أعلم الناس بالتفسير أهل مكة لأنهم أصحاب ابن عباس رضي الله عنهما كمجاهد، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة مولى ابن عباس، وسعيد بن جبير، وطاوس، وابن الشعثاء، وجابر بن زيد، وأمثالهم رحمهُم الله "[1].

وقد نقل أبو حيان رحمه الله تعالى في تفسيره أقوال السلف والخلف في فهم معاني الآيات، ومع ذلك لم يكن يسلم بكل شيء، ولهذا نجده يقول: "وكذلك أيضا ذكروا ما لا يصح من أسباب نزول وأحاديث في الفضائل وحكايات لا تناسب وتواريخ إسرائيلية، ولا ينبغي ذكر هذا في علم التفسير. ومن أحاط بمعرفة مدلول الكلمة وأحكامها قبل التركيب، وعلم كيفية تركيبها في تلك اللغة، وارتقى إلى تمييز حسن تركيبها وقبحه، فلن يحتاج في فهم ما تركب من تلك الألفاظ إلى مفهم ولا معلم، وإنما تفاوت الناس في إدراك هذا الذي ذكرناه، فلذلك اختلفت أفهامهم وتباينت أقوالهم"[2]

ومن أمثلة تفسيره التي تبين اعتماده أقوال كبار الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين:

قال في تفسير قوله تعالى: {إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ}[البقرة: 21]، " (يَا أَيُّهَا النَّاسُ): خطاب لجميع من يعقل، قاله ابن عباس، أو اليهود خاصة، قاله الحسن ومجاهد، أو لهم وللمنافقين، قاله مقاتل، أو لكفار مشركي العرب وغيرهم، قاله السدي، والظاهر قول ابن عباس لأن دعوى الخصوص تحتاج إلى دليل. ووجه مناسبة هذه الآية لما قبلها هو أنه تعالى لما ذكر المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وصفاتهم وأحوالهم وما يؤول إليه حال كل منهم، انتقل من الإخبار عنهم إلى خطاب النداء، وهو التفات شبيه بقوله: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}[الفاتحة: 5]، بعد قوله: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[الفاتحة: 2]"[3].

ويقول رحمه الله في تفسير قوله تعالى مستشهداً بأقوال الصحابة والتابعين: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}[البقرة: 23]: "(وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ نزلت في جميع الكفار. وقال ابن عباس ومقاتل: نزلت في اليهود، وسبب ذلك أنهم قالوا: هذا الذي يأتينا به محمد لا يشبه الوحي وإنا لفي شك منه، والأظهر القول الأول. ومناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه لما احتج تعالى عليهم بما يثبت الوحدانية ويبطل الإشراك، وعرفهم أن من جعل لله شريكا فهو بمعزل من العلم والتمييز، أخذ يحتج على من شك في النبوة بما يزيل

(1) مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، ص71، وينظر: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، 1408 هـ/ 1988م، التفسير الكبير، تحقيق وتعليق: عبد الرحمن عمرة، ج: 2، ص212، بيروت، دار الكتب العلمية.

(2) مقدمة البحر المحيط، ج: 1، ص13.

(3) البحر المحيط، ج: 1، ص152.

شبهته، وهو كون القرآن معجزة، وبين لهم كيف يعلمون أنه من عند الله أم من عنده، بأن يأتوا هم ومن يستعينون به بسورة من هذا، وهم الفصحاء البلغاء المجيدون حوك الكلام، من النثار والنظام والمتقلبون في أفانين البيان، والمشهود لهم في ذلك بالإحسان"[1].

## 4. تفسير القرآن بالقراءات أصل من أصول التفسير عند أبي حيان الأندلسي:

من أصول التفسير عند أبي حيان الأندلسي؛ اعتماده على استدلال القراءات القرآنية، وما فيها "من اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقصان أو تغيير حركة أو إتيان بلفظ بدل لفظ"[2] وقيد هذا الاستدلال بالتواتر والآحاد. وهو إذ يعتمد هذا الأصل في تفسيره فهو على علم تام به ودراية، فيذكر علمه بالقراءات القرآنية ومشايخه وإجازاته العالية ويبين رحمه الله السلسلة القرائية والشيوخ الذين تلقى عنهم القراءات القرآنية حتى وصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله:" فمن شيخي إلى ورش مصريون، ومن نافع إلى من بعده مدنيون. ومثل هذا الإسناد عزيز الوجود، بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر رجلا، وهذا من أعلى الأسانيد التي وقعت لي"[3]. وعرَّف أبو حيان الاندلسي في القراءات بأنها: "علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمات لذلك. فقولنا علم هو جنس يشمل سائر العلوم. وقولنا يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن هذا هو علم القراءات. وقولنا ومدلولاتها، أي مدلولات تلك الألفاظ، وهذا هو علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم. وقولنا وأحكامها الإفرادية والتركيبية هذا يشمل علم التصريف، وعلم الإعراب، وعلم البيان، وعلم البديع، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب شمل بقوله التي تحمل عليها ما لا دلالة عليه بالحقيقة، وما دلالته عليه بالمجاز"[4].

يقول أبو حيان الأندلسي: "وقد صنف علماؤنا في ذلك كتبا لا تكاد تحصى، وأحسن الموضوعات في القراءات السبع كتاب الإقناع لأبي جعفر بن الباذش، وفي القراءات العشرة كتاب المصباح لأبي الكرم الشهرزوري. وقد قرأت القرآن بقراءة السبعة، بجزيرة الأندلس، على الخطيب أبي جعفر أحمد بن علي بن محمد الرعيني، عرف بابن الطباع، بغرناطة، وعلى الخطيب أبي محمد

(1) المصدر السابق، ج: 1، ص166.
(2) المصدر السابق، ج: 1، ص16.
(3) مقدمة البحر المحيط، ج: 1، ص23.
(4) المصدر السابق، ج: 1، ص26.

عبد الحق بن علي بن عبد الله الأنصاري الوادي تشبتي، بمطحشارش، من حضرة غرناطة، وعلى غيرهما بالأندلس"[1].

فقد وقع الخلاف بين علماء التفسير في القراءات وذهبوا إلى أن الاختلاف في القراءات القرآنية متمثل في العبارات المسموعة وليس في المعاني المفهومة وأنه اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقض، يقول المهدوي:" قد وقع بين القراء اختلاف كثير في الأصول والحروف، وكان هذا الاختلاف قديما جدا، حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرئ الناس بقراءات مختلفة، وبحروف سبعة، توسعة على الأمة، ورفعا للحرج عنها"[2]. معنى هذا أن نزول القرآن الكريم بتنوع قراءاته لا يلزم منه تناقض أو تضاد أو تدافع بين مدلول أو معاني آياته ولا يسبب اضطراباً في التناسق الذي نزل به، يقول تعالى: {كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}[هود:1]، بحيث إن كل قراءة يجب قبولها والإيمان بها والعمل بمقتضاها، وفي ذلك يقول ابن الجزري(ت 833هـ): "كل ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك فقد وجب قبوله، ولم يسع أحد من الأمة رده ولزم الإيمان به، وأن كله منزل من عند الله إذ كل قراءة منها مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية، يجب الإيمان بها كلها واتباع ما تضمنته من المعنى علماً وعملاً، لا يجوز ترك موجب إحداهما لا جل الأخرى ظناً أن ذلك تعارض"[3].

وفرق ابن الجزري بين اختلاف القراء واختلاف الفقهاء إذ يقول:" وبهذا افترق اختلاف القراء من اختلاف الفقهاء، فإن اختلاف القراء كل حق وصواب نزل من عند الله وهو كلامه لا شك فيه واختلاف الفقهاء اختلاف اجتهادي والحق في نفس الأمر فيه واحد، فكل مذهب بالنسبة إلى الآخر صواب يحتمل الخطأ، وكل قراءة بالنسبة إلى الأخرى حق وصواب في نفس الأمر نقطع بذلك ونؤمن به، ونعتقد أن معنى إضافة كل حرف من حروف الاختلاف إلى من أضيف إليه من الصحابة وغيرهم، إنما هو من حيث إنه كان أضبط له وأكثر قراءة وإقراء به، وملازمة له، وميلا إليه، لا غير ذلك...وأما فائدة اختلاف القراءات وتنوعها، فإن في ذلك فوائد غير ما قدمناه من سبب التهوين والتسهيل والتخفيف على الأمة"[4]. فالاختلاف في القراءات حق لا تضاد فيه ولا تدافع بين معاني الآيات، وهذا

(1) المصدر السابق، ج: 1، ص16.

(2) أبو العباس أحمد بن عمار بن أبي العباس المهدوي، بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات وكثرة الطرق والروايات، تحقيق: أحمد بن فارس السلوم، ط1، بيروت، لبنان، دار ابن حزم.: 1427ه/ 2006م، ص9.

(3) شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع، ج:1، بيروت، دار الكتاب العلمية ص51.

(4) المصدر السابق، ج: 1، ص52

ما بينه ابن الجزري: "ومنها ما في ذلك من نهاية البلاغة، وكمال الإعجاز وغاية الاختصار، وجمال الإيجاز، إذ كل قراءة بمنزلة الآية، إذ كان تنوع اللفظ بكلمة تقوم مقام آيات، ولو جعلت دلالة كل لفظ آية على حدتها لم يخف ما كان في ذلك من التطويل.

ومنها ما في ذلك من عظيم البرهان وواضح الدلالة، إذ هو مع كثرة هذا الاختلاف وتنوعه لم يتطرق إليه تضاد ولا تناقض ولا تخالف، بل كله يصدق بعضه بعضا، ويبين بعضه بعضا، ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد وأسلوب واحد، وما ذلك إلا آية بالغة، وبرهان قاطع على صدق من جاء به صلى الله عليه وسلم.

ومنه سهولة حفظه وتيسير نقله على هذه الأمة، إذ هو على هذه الصفة من البلاغة"[1].

ودل عليه قوله تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا}[النساء: 82].

ويقول أبو حيان في تفسير قوله تعالى بالقراءات: {قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ لَمُهْتَدُونَ}[البقرة: 70]. "وقرأ الجمهور: تشابه، جعلوه فعلا ماضيا على وزن تفاعل، مسند الضمير البقر، على أن البقر مذكر. وقرأ الحسن: تشابه، بضم الهاء، جعله مضارعا محذوف التاء، وماضيه تشابه، وفيه ضمير يعود على البقر، على أن البقر مؤنث. وقرأ الأعرج: كذلك، إلا أنه شدد الشين، جعله مضارعا وماضيه تشابه، أصله: تتشابه، فأدغم، وفيه ضمير يعود على البقر. وروي أيضا عن الحسن، وقرأ محمد المعيطي، المعروف بذي الشامة: تشبه علينا. وقرأ مجاهد: تشبه، جعله ماضيا على تفعل. وقرأ ابن مسعود: يشابه، بالياء وتشديد الشين، جعله مضارعا من تفاعل، ولكنه أدغم التاء في الشين. وقرىء: متشبه، اسم فاعل من تشبه. وقرأ بعضهم: يتشابه، مضارع تشابه، وفيه ضمير يعود على البقر. وقرأ أبي: تشابهت. وقرأ الأعمش: متشابه ومتشابهة. وقرأ ابن أبي إسحاق: تشابهت، بتشديد الشين مع كونه فعلا ماضيا، وبتاء التأنيث آخره. فهذه اثنا عشر قراءة"[2].

ويقول رحمه في تفسيره قوله تعالى: {كهيعص (1) ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا}[مريم: 1]، "قرأ الجمهور كاف بإسكان الفاء. وروي عن الحسن ضمها، وأمال نافع هاء وياء بين اللفظين، وأظهر دال صاد عند ذاك. ذكر وقرأ الحسن بضم الهاء وعنه أيضا ضم الياء وكسر الهاء، وعن عاصم ضم

(1) المصدر السابق، ج: 1، ص53.

(2) البحر المحيط، ج: 1، ص410.

الياء وعنه كسرهما وعن حمزة فتح الهاء وكسر الياء. قال أبو عمرو الداني: معنى الضم في الهاء والياء إشباع التفخيم وليس بالضم الخالص الذي يوجب القلب. وقال أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن المقري الرازي في كتاب اللوامح في شواذ القراءات خارجة عن الحسن: كاف بضم الكاف، ونصر بن عاصم عنه بضم الهاء وهارون بن موسى العتكي عن إسماعيل عنه بالضم"[1].

## المطلب الثاني: تفسير القرآن الكريم باللغة

نزل القرآن الكريم بلغة العرب ولذلك لا يُحمل شيءٌ من ألفاظ النص القرآني على معنى غير معروف في اللغة العربية.

يقول الشاطبي: "كلُّ معنى مستنبط من القرآن غير جارٍ على اللسان العربي؛ فليس من علوم القرآن في شيء، لا مما يستفاد منه، ولا مما يستفاد به، ومن ادَّعى فيه ذلك فهو في دعواه مبطل"[2].

وقد ذكر أبو حيان في تفسيره البحر المحيط أنه أعرض عن الأقاويل والمعاني التي خرجت في مدلولاتها عن كلام العرب، ومما قاله في ذلك: "وربما ألممت بشيء من كلام الصوفية مما فيه بعض مناسبة لمدلول اللفظ، وتجنبت كثيرا من أقاويلهم ومعانيهم التي يحملونها الألفاظ، وتركت أقوال الملحدين الباطنية المخرجين الألفاظ القريبة عن مدلولاتها في اللغة إلى هذيان افتروه على الله تعالى"[3].

وتكلم الباقلاني عن الخصائص التي تميز اللغة العربية دون غيرها من سائر لغات العالم وعن السر الذي زاد من حضورها القوي عبر الأزمنة، ومن بلاغتها قائلا: "والعربية أشدُّ اللغات تمكنا، وأشرفها تصرفا وأعدلها، ولذلك جعلت حلية لنظم القرآن، وعلق بها الإعجاز، وصارت دلالة في النبوة"[4].

وتدل آيات القرآن الكريم على سمو اللغة العربية ومكانتها وقيمتها، فحُفظت وشُرّفت بالقرآن الكريم يقول تعالى: {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ}[الشعراء: 195]، قاطعاً للعذر، مقيماً للحجة، دليلاً إلى المحجة، {قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ}[الزمر: 28].

(1) المصدر السابق، ج: 7، ص238

(2) الموافقات، ج:4، ص244

(3) البحر المحيط، ج: 1، ص13.

(4) أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، تحقيق: أحمد صقر، القاهرة: دار المعارف، 1997م، ص118.

يقول ابن كثير: "وذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس، فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات, على أشرف الرسل بسفارة أشرف الملائكة, وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض, وابتدىء إنزاله في أشرف شهور السنة, وهو رمضان, فكمل من كل الوجوه, ولهذا قال تعالى: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ}[يوسف: 3]، بسبب إيحائنا إليك هذا القرآن"[1].

لقد تم تدوين العلوم الإسلامية الأصيلة باللغة العربية، وبها نزل القرآن الكريم مصدر الشريعة الإسلامية الأوّل، ودوّنت بها السنة النبوية المطهرة، وبها تمّ تأليف الكتب الإسلامية التي تعتبر هي الأم والمصادر الأساسية المعتمدة في كل الفنون الإسلامية: من شروح الحديث والفقه وأصوله وكتب التفاسير والسيرة النبوية، وكتب العقيدة، وغيرها، ولا يمكن الفهم الصحيح لهذه إلا بالتمكن من اللغة العربية.

ولهذا نجد أنَّ أبا حيان اهتم اهتماما كبيرا في تفسيره بهذا الجانب، فأول ما كان يبدأ به في تفسير الآيات العناية بالمفردة القرآنية، وكان شديد الحرص على النقل عن العرب وما استعملته في مخاطباتها، يقول رحمه الله: "ومن أحاط بمعرفة مدلول الكلمة وأحكامها قبل التركيب، وعلم كيفية تركيبها في تلك اللغة، وارتقى إلى تمييز حسن تركيبها وقبحه، فلن يحتاج في فهم ما تركب من تلك الألفاظ إلى مفهم ولا معلم، وإنما تفاوت الناس في إدراك هذا الذي ذكرناه، فلذلك اختلفت أفهامهم وتباينت أقوالهم"[2]. بشرط أنه:" لا يرتقي من علم التفسير ذروته، ولا يمتطي منه صهوته، إلا من كان متبحرا في علم اللسان، مترقيا منه إلى رتبة الإحسان، قد جبل طبعه على إنشاء النثر والنظم دون اكتساب، وإبداء ما اخترعته فكرته السليمة في أبدع صورة وأجمل جلباب، واستفرغ في ذلك زمانه النفيس، وهجر الأهل والولد والأنيس"[3].

ومن الأمثلة التي تبرز عنايته بهذه الجوانب:

### 1. بيان معاني المفردات:

قال في تفسيره لقوله عز وجل: {الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ}[البقرة: 16]. "الاشتراء والشراء بمعنى: الاستبدال بالشيء والاعتياض منه، إلا أن الاشتراء

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير القرشي البصري، ج:2، ص568.

(2) مقدمة البحر، ج:1، ص13.

(3) – المصدر السابق، ج: 1، ص17.

يستعمل في الابتياع والبيع، وهو مما جاء فيه افتعل بمعنى الفعل المجرد، وهو أحد المعاني التي جاء لها افتعل. الربح: هو ما يحصل من الزيادة على رأس المال. التجارة: هي صناعة التاجر، وهو الذي يتصرف في المال لطلب النمو والزيادة. المهتدي: اسم فاعل من اهتدى وافتعل فيه للمطاوعة، هديته فاهتدى، نحو: سويته فاستوى، وغممته فاغتم"[1].

وعند تفسيره لقوله تعالى: {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}[البقرة: 22]، يقول: "ظاهره أنه نهى عن اتخاذ الأنداد، وسموا أندادا على جهة المجاز من حيث أشركوهم معه تعالى في التسمية بالإلهية، والعبادة صورة لا حقيقة لأنهم لم يكونوا يعبدونهم لذواتهم بل للتقرب إلى الله تعالى، وكانوا يسمون الله إله الآلهة ورب الأرباب"[2].

## 2. البيان بالشاهد الشعري:

المتتبع لكتب التفسير يلاحظ أنّ الصحابة والتابعين كانوا إذا سئلوا عن كلمة غريبة في القرآن الكريم رجعوا إلى أقوال العرب وشعرهم، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحَرْف من القرآن الّذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه"[3]. يقول أبو حيان رحمه الله: "ويدرك ذلك في أشعار العرب الفصحاء"[4].

يقول في تفسير قوله عز وجل: {وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ}[إبراهيم: 5]: و"أيام الله "قال بن عباس و مجاهد و قتادة:"نعم الله عليهم"[5]... ومنه قول الشاعر:

وأيامٍ لنا غرٍّ طوال... عصينا الـمَلِكَ فيها أن نَدِينا[6].

وفي تفسيره لقوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (8) يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ}[البقرة: 9]، يقول رحمه الله: "إن

(1) المصدر السابق، ج:1، ص104

(2) المصدر السابق، ج:1، ص161

(3) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ج:2، ص55.

(4) البحر المحيط، ج:1، ص18.

(5) المصدر السابق، ج: 6، ص409.

(6) معلقة عمرو بن كلثوم، دراسة وتحليل، مختار سيدي الغوث، مجلة جامعة دمشق، المجلد: 22، العدد(2+1)، 2006م، ص120.

المعنى في الخداع إنما هو الوصول إلى المقصود من المخدوع، بأن ينفعل له فيما يختار، وينال منه ما يطلب على غرة من المخدوع وتمكن منه وتفعل له، ووبال ذلك ليس راجعا للمخدوع، إنما وباله راجع إلى المخادع، فكأنه ما خادع ولا كاد إلا نفسه بإيرادها موارد الهلكة، وهو لا يشعر بذلك جهلا منه بقبيح انتحاله وسوء مآله. وعبر عن هذا المعنى بالمخادعة على وجه المقابلة، وتسمية الفعل الثاني باسم الفعل الأول المسبب له، كما قال:

ألا لا يجهلن أحد علينا... فنجهل فوق جهل الجاهلينا[1]

جعل انتصاره جهلا، ويؤيد هذا المنزع هنا أنه قد يجيء من واحد: كعاقبت اللص، وطارقت النعل. ويحتمل أن تكون المخادعة على بابها من اثنين، فهم خادعون أنفسهم حيث منوها الأباطيل، وأنفسهم خادعتهم حيث منتهم أيضا ذلك، فكأنها مجاورة بين اثنين"[2].

### 3. تفسيره للقرآن بالنحو:

قال أبو حيان رحمه الله، وهو يعدد الوجوه التي يجب اعتمادها في فهم كتاب الله، في مقدمة تفسيره: "الوجه الثاني: معرفة الأحكام التي للكلمة العربية من جهة إفرادها ومن جهة تركيبها، ويؤخذ ذلك من علم النحو"[3]. وهو علم "صعب المرام، مستعص على الأفهام، لا ينفذ في معرفته إلا الذهن السليم، والفكر المرتاض المستقيم"[4].

وقال بن عطية رحمه الله: "إعراب القرآن أصل في الشريعة، لأن بذلك تقوم معانيه التي هي الشرع "[5]. وقد بين أبو حيان رحمه الله أنه اهتم بتفسير كتاب الله تعالى "منكبا في الإعراب عن الوجوه التي تنزه القرآن عنها، مبينا أنها مما يجب أن يعدل عنه، وأنه ينبغي أن يحمل على أحسن إعراب وأحسن تركيب، إذ كلام الله تعالى أفصح الكلام، فلا يجوز فيه جميع ما يجوزه النحاة في شعر الشماخ والطرماح وغيرهما من سلوك التقادير البعيدة والتراكيب القلقة والمجازات المعقدة"[6].

---

(1) المرجع السابق، ص83.

(2) البحر المحيط، ج: 1، ص93.

(3) البحر المحيط، ج: 1، ص14.

(4) أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، 1418 هـ/ 1998 م، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، ج: 1، ص3، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر، مكتبة الخانجي.

(5) أبو محمد ابن عطية الأندلسي، 1422 هـ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ج: 1، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية ص40.

(6) مقدمة البحر المحيط، ج: 1، ص10.

ومن تفسيره، البيان بالإعراب: يقول رحمه الله في إعراب قوله تعالى: {فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}[البقرة: 24]:"(وَلَنْ تَفْعَلُوا) جملة اعتراض، فلا موضع لها من الإعراب، وفيها من تأكيد المعنى ما لا يخفى، لأنه لما قال: فإن لم تفعلوا، وكان معناه نفي في المستقبل مخرجا ذلك مخرج الممكن، أخبر أن ذلك لا يقع، وهو إخبار صدق، فكان في ذلك تأكيد أنهم لا يعارضونه. واقتران الفعل بلن مميز لجملة الاعتراض من جملة الحال، لأن جملة الحال لا تدخل عليها لن، وكان النفي بلن في هذه الجملة دون لا، وإن كانتا أختين في نفي المستقبل، لأن في لن توكيدا وتشديدا، تقول لصاحبك: لا أقيم غدا، فإن أنكر عليك قلت: لن أقيم غدا، كما تفعل في: أنا مقيم، وإنني مقيم"[1].

## 4. تفسيره للقرآن بالبلاغة:

تعتبر البلاغة من الأصول المعتمدة في التفسير، لأن علم التفسير ليس متوقفا على علم اللغة فقط، يقول أبو حيان الأندلسي: "ولنبين أن علم التفسير ليس متوقفا على علم النحو فقط، كما يظنه بعض الناس، بل أكثر أئمة العربية هم بمعزل عن التصرف في الفصاحة والتفنن في البلاغة، ولذلك قلت تصانيفهم في علم التفسير، وقل أن ترى نحويا بارعا في النظم والنثر، كما قل أن ترى بارعا في الفصاحة يتوغل في علم النحو. وقد رأينا من ينسب للإمامة في علم النحو، وهو لا يحسن أن ينطق بأبيات من أشعار العرب، فضلا عن أن يعرف مدلولها، أو يتكلم على ما انطوت عليه من علم البلاغة والبيان. فأنى لمثل هذا أن يتعاطى علم التفسير؟"[2]، وهذا لا يتم لأحد إلا "بالعكوف على علم العربية، والنظر في التراكيب النحوية، والتصرف في أساليب النظم والنثر، والتقلب في أفانين الخطب والشعر"[3].

ولهذا قال رحمه الله في الوجه الثالث من وجوه النظر في تفسير كتاب الله تعالى: "كون اللفظ أو التركيب أحسن وأفصح، ويؤخذ ذلك من علم البيان والبديع"[4].

ومن عنايته بهذه الجوانب، التشبيه: قال رحمه الله في قوله عز وجل: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ}[البقرة: 146]، (كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ )، الكاف: في موضع نصب، على أنها صفة لمصدر محذوف تقديره عرفانا مثل عرفانهم. أبناءهم: أو في موضع نصب على الحال

(1) المصدر السابق، ج: 1، ص174.

(2) البحر المحيط، ج:1، ص19.

(3) المصدر السابق، ج:1، ص7.

(4) المصدر السابق، ج:1، ص10.

من ضمير المعرفة المحذوف، كان التقدير: يعرفونه معرفة مماثلة لمعرفة أبنائهم. وظاهر هذا التشبيه أن المعرفة أريد بها معرفة الوجه والصورة، وتشبيهها بمعرفة الأبناء يقوي ذلك، ويقوي أن الضمير عائد على رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى تكون المعرفتان تتعلقان بالمحسوس المشاهد، وهو آكد في التشبيه من أن يكون التشبيه وقع بين معرفة متعلقها المعنى، ومعرفة متعلقها المحسوس. وظاهر الأبناء الاختصاص بالذكور، فيكونون قد خصوا بذلك، لأنهم أكثر مباشرة ومعاشرة للآباء، وألصق وأعلق بقلوب الآباء"[1]. والمنعوق به. فعلى أن المثل مضروب بتشبيه الكافر بالناعق"[2].

## الخاتمة:

يتضح من هذا العرض المتعلق بأصول التفسير عند أبو حيان الأندلسي أن علم أصول التفسير مؤهل لضبط العملية التفسيرية، على اعتبار أنه علم محكم البناء من حيث مصطلحاته وقواعده ومناهجه، وأن الأساس الذي بني عليه من حيث التدوين والتصنيف، إنما هو حل لمشكلة الفهم اللغوي للدليل الشرعي (القرآن الكريم والسنة). سواء من حيث الدلالة، أو الإشكاليات المطروحة خاصة مع ظهور اللحن الصوتي والصرفي والمفاهمي في ظل اتساع الرقعة الإسلامية ودخول أمم أعجمية في الإسلام.

## النتائج:

- بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، نشأت ظاهرة الوضع بداية في الحديث النبوي، ثم ظهرت تبعاً لذلك في التفسير، نتيجة لتوسع الدولة الإسلامية، وظهور الخلافات السياسية والمذهبية. لذلك أصبحت الحاجة ملحة لضبط العملية التفسيرية بعرضها على الأصول والقواعد المعدة لذلك.

- إن الناظر في التفاسير المنقولة عن التابعين يقف على مصادر متعددة لتفاسيرهم، بالإضافة إلى ما أخذوه من أهل الكتاب مما أدى إلى التفسير بالرأي علما أن الروايات المنقولة عنهم تخضع لمعايير القبول والرد لأن الوضع غزا التفسير وخاصة الاسرائيليات..

- باتث أهمية البحث في موضوع التفسير لآيات القرآن الكريم وفق أصول التفسير المتعلقة بالقرآن والسنة واللغة العربية ضرورة اقتضتها حاجة الأمة إليها، بحيث إن ظاهرة الوضع لعبت دوراً

(1) المصدر السابق، ج: 2، ص34.

(2) المصدر السابق، ج: 2، ص105.

سلبياً في اختلاط كثير من الأقوال التي لم يصح سندها بما كان قد صح سنده وثبت نقله، فضلاً عن فتح الباب للمستشرقون والمغرضين للنيل من هذا الدين وتراثه وعلمائه، فعملوا على نزع الثقة من الأمة في تراثها، بدعوى عدم ثبوت كثير من الأسانيد فيه، أو بدعوى وجود التناقض، أو بدعاوى أخرى لا تخفى على المتابع لكتابات وأعمال أولئك القوم.

- اعتماد أبو حيان الأندلسي لأصول التفسير في البحر المحيط كمسلك آمن للرد على أصحاب المذاهب المنحرفة وذوي الإلحاد والمبطلين. وبيان ذلك أن الله سبحانه قد قيَّد لعلم التفسير من العلماء الذين صرفوا جُلَّ أوقاتهم لتتبع أحوال الرواة، ووضعوا قوانين الرد والقبول، وضربوا في الأرض؛ ليعلموا السمين من الغث، ويقيموا الصحيح من السقيم؛ فذادوا بعملهم هذا عن حِمَى علم التفسير، ودفعوا عنه وضع الواضعين، وتحريف المحرّفين، ومغالاة الغالين، وبذلك تحقق وعد الله في حفظ هذه الشريعة، وحمايتها من كل ما أصاب غيرها من الشرائع، من عوامل التحريف والبطلان.

## التوصيات:

- العناية بالمباحث اللغوية، النحوية، البلاغية ودراسة المسائل العقدية في تفسير البحر المحيط؛ لغناء الكتاب بها.

- الإسهام في تنظيم مؤتمرات وندوات ولقاءات علمية خاصة لدراسة سبل دفع الشبهات ورد المطاعن عن القرآن الكريم.

- حث طلبة العلم والمتخصصين في الجامعات ومراكز البحث العلمي على الاغتراف من مشكاة النبوة والمعين الأصلي والمصادر الأصيلة الموثوقة لممارسة العملية التفسيرية.

- التأكيد على أهمية فهم القرآن الكريم والتعامل معه من خلال الأصول التفسيرية السليمة، والمنهجية العلمية المنصفة التي تحترم الدليل الصحيح، مع إبراز خطأ من يحاول فهم القرآنِ الكريم في ضوء الأديان والمعتقدات والفلسفات المختلفة، دون إغفال أهمية تشجيع الدراسات الأصيلة الموثقة، المتصلة بتاريخ القرآن الكريم وعلومه ومعارفه؛ وذلك للرد على الشبهات التي يثيرها ذوي الإلحاد والتعطيل في تشويه معاني القرآن الكريم من خلال بحوثهم المختلفة.

- تشجيع ودعم المشاريع البحثية المتعلقة بالقرآن الكريم وعلومه لدى المؤسسات والأفراد، وبذل الجهد لتحقيق التكامل بينها.

## قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية ورش.

- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، الطبعة: 1420 هـ، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت، لبنان، دار الفكر.

- إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشاطبي، 1417هـ/ 1997م، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الطبعة الأولى، الرياض، دار ابن عفان.

- أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، 1418 هـ/ 1998 م، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر، مكتبة الخانجي.

- أبو محمد ابن عطية الأندلسي، 1422 هـ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.

- أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب، 1997م، إعجاز القرآن، تحقيق: أحمد صقر، الطبعة: الخامسة، مصر، دار المعارف.

- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، 1419هـ، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ج:1، ص16، بيروت، دار الكتب العلمية.

- أبو العباس أحمد بن عمار بن أبي العباس المهدوي، بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات وكثرة الطرق والروايات، تحقيق: أحمد بن فارس السلوم، ص9، الطبعة الأولى: 1427ه/ 2006م، بيروت، لبنان، دار ابن حزم.

- أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، التفسير الكبير، تحقيق وتعليق: عبد الرحمن عمرة، 1408 هـ/ 1988م، بيروت، دار الكتب العلمية.

- أحمد بن عبد الحليم المعروف بابن تيمية، 1971م، مقدمة في أصول التفسير، تحقيق: عدنان زرزور، بيروت، مطابع دار القلم.

- جلال الدين السيوطي، 1416هـ/1996م، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: سعيد المندوب، بيروت، لبنان، دار الفكر.

- شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، بيروت، دار الكتاب العلمية.

- عمرو بن كلثوم، 2006م، المعلقة، دراسة وتحليل، مختار سيدي الغوث، مجلة جامعة دمشق، المجلد: 22، العدد (1+2).

- محمد بن اسماعيل البخاري ابو عبد الله، 1422هـ، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، المدينة المنورة، دار طوق النجاة.

- محمد حسين الذهبي، 2000م، التفسير والمفسرون، ج:1، ص29، القاهرة، مكتبة وهبة.